نافذة

الحديث بالحديث يذكر

أحسد ذلك الذي يتحدث عن الفساد ومقاومته ومحاربته، وهو منغمس في الفساد بتمامه، حيث لا يظهر منه أي جزء، وربما كان انغماسه كافياً لسلالات بشرية، يتحدث بأريحية، وكأنه في جزيرة منعزلة لا يعرفه أحد، ولم يتعامل معه أحد، ولم يمارس فساده على أمة كاملة.

وأغبط ذاك الذي يتسنّم على منبر إعلامي، فيعد تقاريره عن البرغوثي، وعن التميمي، ويستعين بأفضل الخبرات، وينبش الأرشيف بمهارة ليقدم تقاريره عن حياتها وسيرتها وعن أسرتها، وفي سياق التقرير يذكر أن العتاة من الصهاينة طالبوا باغتصاب الفتاة المناضلة التميمي ابنة الستة عشر ربيعاً، ويمضي التقرير من قناة المعتصم، ولا معتصم يتوفر وراءها، بل لا معتصم يرى هذا التقرير، لأن رؤيته تفترض أن يطلب من سادته الإفراج عن هذه البطلة، وهو لو قال لحدث ما أراد، ولكن أزعم أنه وأمثاله يتمنى أن يفعل الصهاينة بالمناضلة وبكل المناضلات ما يريدون، لأنهم خصومه الذين يخافهم، هذا إن لم أقل: إنه وراء الفكرة الخبيثة، وقد أوحى للصهاينة أن مفهوم الشرف هو الأغلى.

وأداعب ذاك الذي يتحدث عن التدخلات العسكرية في سورية، وهي مرفوضة لدى كل سوري وخاصة من بقي في أرضه، يتحدث عنها، وهو ممن طلب التدخل، وطلب القصف، وتوسل العسكر الأجانب أن يكونوا في سورية، واليوم يأتي هو وجوقته ليتحدث عن وجود قوات أميركية كبيرة ومقاتلين دربتهم في سورية، ثم يبدأ سخرية عن السيادة ومفهومها، وغاب عن هذا أن الحرب على سورية لا تزال دائرة، وأن هؤلاء الذين يتحدث عنهم جاؤوا بناء على توسلاته، إن وجود أي أجنبي على أرض سورية مؤلم للغاية، ولا يقبله أي شخص ينتمي إلى سورية، لكن الأمر الواقع الذي خلقه هؤلاء في حربهم الضروس على سورية هي وراء ما حصل، ووراء تدخلات قوات عديدة نسمع عنها هنا أو هناك، ولكن غاب عن هؤلاء المتحدثين من أي منبر كان أن المنبر الذي يتحدث فيه ينتمي إلى دول فيها من المعسكرات الطوعية ما لا يحصى، فمنذ عقود بعيدة نسمع عن الكامبات والمعسكرات التي تخص هؤلاء العسكر الأجانب، ويمنع على أبناء الدولة التي هي فيها الاقتراب من المعسكرات، بل إن طعامهم وشرابهم يأتيهم من بلدانهم، واحتفالاتهم الصاخبة الماجنة لا يقترب منها أحد في بلاد يفترض أن تأنف هذا الأمر، لكنهم لا يرون هذه القواعد الراسخة التي وصلت يوماً ما إلى الحرم المكي، هذا عيب، والفرق الجلي بين الحالين أن تلك القواعد، وأولئك العسكر جاؤوا بالرضا التام، أما ما يتحدث عنه في سورية فقد دخل بسبب الحرب القذرة على سورية، وفاته أن الحرب في سورية لا تزال مستعرة، وأبشره أن الحرب في سورية في نهايتها ستجرف كل ما يتحدث عنه ويسخر منه، فلا دول ولا تقسيم ولا جماعات، ولا أي شيء مما يتحدث عنه سيبقى، وإن كانت المشكلة في استضافة بعض القنوات لمن يسمون بالمحللين، وهم لا علاقة لهم بالتحليل، فالمشكلة فيمن تحدث، وفيمن استضاف، وفيمن أهمل التدريب الحقيقي لمحللين قرؤوا التاريخ والشعوب وآلاف الكتب.

يا هذا.. إن مستقبل سورية لا يؤخذ من محلل كل ما يعنيه شهوة الكلام وما سيتقاضاه مقابل ظهوره، مستقبل سورية يؤخذ من الإنسان السوري، ولا أقول من الدولة السورية وحدها، فالسوري عبر تاريخه لا يقبل وجود أحد على ترابه، وإن بقي أحد، وفي سورية ومصر وحدهما، فإنه سينصهر في ترابهما ليصبح جزءاً من المجتمع، لكن ما نفعل في المتحدث والساخر على السواء، وهما لا يعرفان أن أسراً في سورية تفوق بعددها دقائق إسهاله اللفظي ليست سورية الأصل، لكن سورية صهرتها وجعلتها جزءاً من المجتمع، وإن عاند القدر بعض الشيء، وبسبب من التآمر الشديد عليها في إنهاء الأزمة، فإن هذه الأزمة ستنتهي، ومع نهايتها وتوقف الحرب لن تجد أي شخص من هؤلاء، سواء كانوا مرتزقة في الخارج، داعين إلى ضرب سورية والتدخل الخارجي، أم كانوا من تجار الحرب في الداخل، وستبقى سورية منذ أكثر من قرن صاحبة المؤسسة العسكرية المهمة التي لم يستطع أحد أن ينال منها، وهذه المؤسسة ستستعيد دورها، وستعمل على تطهير سورية، فبانتهاء الحرب على سورية ستبقى راية الجندي السوري مرفوعة وسيجوب بقاع سورية كلها بحثاً عنك وعن أمثالك ليطهرها، وإن كان الظرف اليوم لا يسمح بمثل هذه الجولات، فبفضل حضرتك، وبفضل أولئك الذين رضعوا خيرات سورية واستفادوا من كل شيء، ومن ثم انحازوا إلى معسكر تدمير سورية، وانظر إليهم وهم يعصرون أعينهم حزناً على سورية ومدنها وإنسانها، من المؤكد أن ما يحدث مؤلم ومحزن، وأن كل ذرة تراب غاية في القيمة، وأن كل قطرة مهمة من الدم السوري، لكن علينا أن نبحث في الغد، فمن جنى وألهب الجماهير، وعندما انتهى دوره اعتكف وجلس للاستمتاع بالمال وما جناه ليس من حقه أن يتحدث، ومن يتحدث اليوم عندما ينتهي دوره سيعتكف كذلك، والجهلة الذين يتحدثون سيختفون، وتجار الحروب سيذهبون، والباقي وحده هو السوري القادر على الفصل التام، والقادر على إصدار أحكام لا لبس فيها.

إن ما يحدث على الأرض السورية قاتل، وما يجري للسوريين، أكثر من قاتل، ولكن ما لا يعرفه هذا الشخص، ولم يمر في خريطته البيولوجية هو التاريخ السوري، فكل سبع عجاف يتبعها سبع سمان، وهذا السوري يحفظ جيداً ويؤرشف، وليس بحاجة إلى تقانتك وإعلامك، وهو يسجل في ذاكرة لم تشخ ولن تشيخ كل الأسماء، كل الوجوه، كل الأقوال، كل الكتابات، كل الاعتداءات، كل الإهانات، وكل النجاحات، وكل يد حانية احترمت سوريته ولم تتسول عليه، السوري لا ينسى، وهذا ليس من قبيل الإنشاء، لكن السوري هو الزمن، وهو الذاكرة، وسمة الزمن الاختمار، وعندما يختمر كل شيء سيجرف السوري كل ما يعترض طريقه، وسيسجل تاريخاً جديداً، وهو وحده القادر على طي أي صفحة كانت ليبدأ صفحة هو سيدها، لا يحتاج إلى أن تتحدث عن مجده، ولا عن واقعه المحزن، هو في لحظة الاختمار سيظهر مارداً لا يبقي أمامه ولا يذر، سيحاسب وحسابه شديد، لأنه لا يقبل طي صفحة ملوثة، إنه يمزقها ولو لم يملك يدين فبأسنانه، يتشبث بأرضه ولو لم يملك قدمين فبتجذره بالتراب.

حاذروا عندما ينهض السوري لن يرحم عميلاً وتاجراً، ولن يغادر الدنيا وعلى أرضه سورية قدم ملوثة، من حاضرة هارون الرشيد إلى جبلة بن الأيهم وإلى شام العظيمة وحلب سيف الدولة، سورية حاضرة لا تعرف التلوّن، وستبني جسرها المعلق على الغد، والفرات وبردى يجرف كل الجيف، ويبتلع كل ما كتب الكاتبون وما قال المحللون الذين يتظاهرون بالخوف والحرص، وهم حاقدون يغارون من شام وشاماتها، ستشرق الشمس غداً وتكون سورية وشام بحفظ الألوهة، ويرحل الحاقدون ولا أثر لهم، لشام وحدها أنشودة البقاء والخلود، وراية لا يستطيع الزمن أن يوقف خفقانها.

إسماعيل مروة

إحدى وظائف الفن هي تثقيف المتلقي بطريقة ممتعة

قصي قدسية لـ«الوطن»: أنا لست متعالياً ولكني لا أغامر وأؤمن أن فرصتي ستأتي

سوسن صيداوي

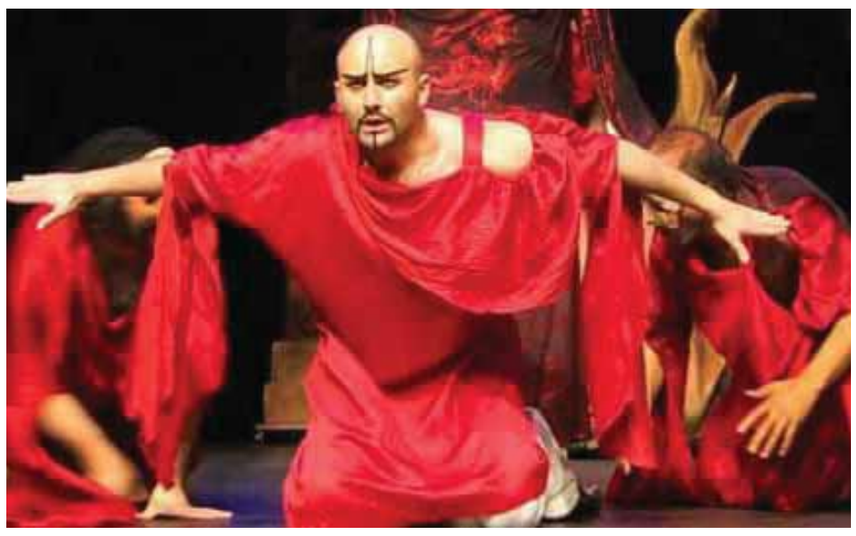

ركيزة ثقة الثقافة. في خضم الاستسهال والبلوغ السريع للأهداف، مع سلوك الأمور المعوجة في الوصول، أصبحت العادة دارجة، لإثبات النفس وتسليط الضوء على الاسم في نيل الشهرة. لكن هذه الأفكار المعتنقة للكثيرين هي مرفوضة وبشكل قاطع من البعض الآخر والذين هم قلة أمام التحديات. ومن قلة البعض هناك اسم موروث وله في الثقافة والركيزة الفنية الثابتة ما لا يمكن أن يستهان به. الاسم يعود للفنان قصي قدسية ابن الفنان القدير زيناتي قدسية. حسن التربية ووعي التنشئة والدقة في المضي في الخيارات، مع صقل الموهبة والابتعاد عن الوساطات، ورفض التبعية المنافية للمبادئ الراسخة، خلال مشوار فني منوع ما بين المسرح والسينما والدراما إضافة إلى الدوبلاج، محطات يمر بها الفنان قدسية الشاب، محققا حضورا لافتا، ونجاحا مميزا، غير آبه للزمن في المضي سريعا، بل همّه الأكبر هو تثبيت نجوميته واستمرارها رغم ما يدور في الساحة الفنية من تبعات الشللية. اليوم وفي لقاء مع قصي قدسية يسلّط الضوء على الكثير من النقاط المهمة والقضايا سواء في المسرح أو الدوبلاج، إضافة إلى الكثير من الأمور والإشكاليات التي تطرق لها خلال حوارنا معه، وإليكم التفاصيل:

• على الرغم من الحرب الدائرة في سورية إلا أننا نشهد عروضاً مسرحية لم تتسع صالات عرضها للجمهور، منها دائرة الطباشير للفنان أيمن زيدان وإكليل الدم للفنان زيناتي قدسية، والمسرحيتان أنت شاركت بهما، برأيك ما سبب استمرار المسرح؟

إن من يعش تجربة الحرب الأخيرة في سورية بكل ما احتوت من بشاعة وإرهاب، مضافاً إليها حربنا الأساسية مع الكيان الصهيوني، يصعب عليه أن يثمر شيئاً ليس على المستوى الفني فقط وإنما على كل المستويات. لكن لدينا من الأسباب ما يكفي لنستمر في مسرحنا فنحن أحفاد أبي خليل القباني رائد ومؤسس المسرح العربي. إنه تراثنا، تاريخنا، وثقافتنا التي نباهي بها أمام شعوب الأرض، على الرغم من بعض فترات الركود تارة، وفساد مسرحي تارة أخرى من خلال بعض العروض المسرحية التي انتهزت فرصة الحرب ووجدت مسرباً لتقديم الهزيل الذي يخلو من أي قيمة فكرية أو فنية حقيقية. سبب آخر ساهم في استمرار المسرح في سورية ألا وهو رعاية المؤسسة الرسمية الوطنية له وأقصد وزارة الثقافة متمثلة بمديرية المسارح التي موّلت ورعت العروض المسرحية على مدى عقود. إضافة لوجود نخبة من المسرحيين المبدعين الذين تشبّثوا بوطنهم في سلمه وحربه وقدموا اللافت والجميل على مدار سنوات، مثال على ذلك أيمن زيدان وزيناتي قدسية اللذان ذكرتهما في سؤالك وغيرهما الكثير من السوريين الذين لم يتنازلوا عن شرف هذه المهمة الإنسانية. والسبب الأهم لاستمرار المسرح هو طبيعة الشعب السوري الذي أدهش ويدهش كل شعوب الأرض يومياً بحبه للحياة وإيمانه بمنجزه الحضاري والثقافي رغم كل محاولات قضم تاريخه وتشويهه. فلا غريب عنه أبداً أن يتدافع إلى خشبات مسارحه ليتلّقى ما هو حقيقي وجميل.

• العروض التي مثلّت بها والتي أخرجتها تندرج كما يصفها المختصون تحت ما يسمى «مسرح النخبة». لماذا هذا المسرح بالذات؟ ألا تستطيع من خلال «المسرح الشعبي»و اللهجة المحلية أن تعبر عن رؤاك وتستنفر أدواتك لإيصال خطابك وأفكارك سواء كممثل أو مخرج؟

برأيي ليس هناك مسرح نخبوي أو شعبي أو حتى مسرح للشباب أو للكبار أو أي من تلك الأوصاف. هناك فقط مسرح يحلّق في فضاءات الجمال والإبداع، أو لا مسرح. مسرح يتلقاه البسطاء والمثقفون معاً، مع العلم أنه قد لا تصل كل الإشارات في العرض المسرحي لمجموعة من المتلّقين البسطاء، إلا أنهم يحسّون بها من خلال طاقة التلّقي الكامنة التي تملكها أرواحهم. عدا عن أن إحدى وظائف الفن عموماً والمسرح خصوصاً هي التثقيف، تثقيف المتلقي، التثقيف المغلف بالمتعة. إذاً كيف يستطيع البشر أن يتلّقوا أفلاماً سينمائية كبيرة بمضامينها متطورة في شكلها على الرغم من أن الملايين منهم ليسوا مثقفين أو مختصين سينمائيين؟ وكيف لعامة الناس أن يشاهدوا ويتمتعوا ببرامج وثائقية قد تكون بعيدة كل البعد عن تراثهم وثقافتهم؟ وكيف للعالم أجمع أن يتلّقى الموسيقا والأغاني على اختلاف بيئاتها ولغاتها ويتمتعون بها بل يحفظونها عن ظهر قلب؟. وكيف للجمهور السوري على اختلاف شرائحه أن يتلقّى المسرحيات الوافدة إلينا من خلال المهرجانات ويتمتع بها ويفك مغاليقها؟مثال على ذلك عروض الفرنسي فيليب جانتي وغيره؟ وكيف للجمهور السوري أن يتلقّى عطيل وفاوست ودائرة الطباشير وغاندي والخادمات وغيرها من العروض؟ إذا والمهم برأيي ليس شكل الخطاب في المسرح، إنما معناه وعمق صياغته وكيفية التعبير عنه. والمثقف الحقيقي هو من لديه الموهبة والاقتدار على إيصال أفكاره للناس على اختلاف شرائحهم بما ينجزه من جمال وسحر وإدهاش وبغض النظر عن وسيلة الإيصال سواء باللغة الفصحى أم العامية أم لغة الجسد أم الموسيقا وغيرها.

• عملت مخرجاً مع والدك في مسرحيتي(أبو شنار) و(غاندي) وفي تعاون فني في(كأس سقراط الأخيرة). ألا يربكك الأمر وأنت في حضرة قامة مسرحية كبيرة كزيناتي قدسية؟

زيناتي قدسية من الممثلين والمخرجين الكبار الذين يضيفون لك. إنه كتلة من العطاء والتوهج والفرادة، وهو مشتغل مسرحي يبحث في أماكن محفوفة بالمخاطر، ينبش عميقاً في مساحات مختلفة ليستنبط الجديد، مثقف وطني انطلق من ثوابت وطنية واجتماعية لا لبس فيها أو زيف، مبدع جعل من عروضه على مدار خمسين عاماً لساناً ينطق بكل ما هو لافت وجميل. وهو من قلائل المخرجين الذين يقدرون قيمة الصمت الذي تخافه الأغلبية. وكما قيل عنه: «ليس ممثلاً ومخرجاً وكاتباً مسرحياً فحسب، إنه مثقف بالدرجة الأولى ومسلّح بمعرفة تبوئه موقعاً متقدماً في الإبداع المسرحي». إضافة لكونه رائد فن المونودراما في المشرق العربي. لكل ذلك وغيره فإن من يعمل تحت إدارته أو معه ينبغي أن يكون على دراية ومعرفة كبيرة كي يتناغم مع أفكاره ورؤاه وتجلياته، ولا أدّعي أنني أملك هذه المؤهلات إلا أنني من خلال إنصاتي لما يقول ومراقبتي لطريقة عمله التي أدهشت الكثيرين ممن تلقوا مسرحه، وفهمي لكيفية تحليله وتركيبه للأشياء، إضافة لعلاقتي التاريخية به كونه والدي، استطعت أن أعمل بشراكة معه في أكثر من عرض مسرحي.

• لماذا أنت ممثل متعال على الدراما التلفزيونية –مشاركاتك فيها معدودة– على الرغم من أنك متمكّن من أدواتك وتمتلك العناصر الجاذبة في شخصيتك. وبالعامية «الكاميرا بتحبك»؟

لا لست متعالياً أبداً. أنا كممثل لا أملك خيار أن أكون في هذا المسلسل أو ذاك. أنا أُستدعى للمشاركة في عمل أو لا أستدعى. وعندما أستدعى فأنا أملك خيار الموافقة على الدور الموكل لي. فأحياناً لا تكون الشخصية تناسب ما أطمح إليه. وأحياناً أتناغم معها، إلا أن الشرط المالي لا يكون مناسباً. وأحياناً أكون مرتبطاً بأكثر من عمل فلا أستطيع الارتباط بهذا المسلسل أو ذاك. وأحياناً أرفض المشاركة في عمل ما لأن مقدمات إخفاقه تكون شاخصة أمامي، فلا أغامر، وهذا حدث أكثر من خمس مرات خلال السنوات الفائتة. أنا أؤمن أن فرصتي في الدراما ستأتي يوماً ما. على الرغم من أنني شاركت بأكثر من عمل تلفزيوني مع مخرجين كبار أقدرهم جداً، أمثال الأساتذة نجدة أنزور وباسل الخطيب وسمير حسين وحاتم علي وهشام شربتجي وغيرهم.

> استمرار المسرح يعود لإيمان الشعب السوري بمنجزه رغم محاولات تشويهه

• هل الصوت المميز وإجادة اللغة العربية هو من جعل من قصي قدسية اسماً مطلوباً بكثرة في عالم المسلسلات المدبلجة والأفلام الوثائقية؟

لا شك أن الصوت المميز تصغي إليه الأذن، إلا أنني أؤكد أنه «في فن الدوبلاج ليس بالصوت وحده يحيا الممثل». الأداء المتقن للممثل هو سر نجاحه في الدراما أو المسرح أو السينما أوالدوبلاج. فمن يدبلج يجب أن يكون بالدرجة الأولى ممثلاً موهوباً ليوصل المعنى باستخدام صوته فقط، فالصوت هو الأداة الوحيدة التي تعبّر من خلالها عن الشخصية وأحاسيسها، تجلياتها وانكساراتها، هدوئها وجنونها، وفي الدوبلاج لا يمكنك الاستعانة بتعبيرات الوجه أو لغة الجسد أو مساعدة الممثلين لك على خشبة المسرح وتفاعل الجمهور معك. لذلك الدوبلاج هو من أصعب أنواع التمثيل. من هنا أقول:ثمة فرق كبير بين ممثل يدبلج ومدبلج يدبلج. وفي النهاية لا أحب أن يتم استقدامي لدبلجة شخصية لأن صوتي جميل أو محبب للأذن، بل أفضل أن يتم التعامل معي باعتباري ممثلاً يجيد عمله.

• من المعروف أنك من مؤسسي تجمّع صوتنا فن التابع لنقابة الفنانين وأنك انتخبت لتكون عضواً في مجلس إدارته. ماذا حقّق التجمّع للعاملين في هذا الفن؟

سنة تقريباً من العمل الدؤوب على كل المستويات فيما يتعلق بعمل الممثل. حيث استطعنا أن نحقق أكثر من إنجاز وأقول إنجاز لأن ما وصلنا إليه كان بشق الأنفس وكثير من الجهد والنقاش المحموم من هذه الإنجازات وأننا حققنا مع جميع الممثلين أجراً جديداً مقبولاً في الأعمال الدرامية. وأجراً مقبولاً في الرسوم المتحركة. وإلغاء عقود مبرمة بين بعض الشركات وبعض الممثلين ضمن الأجر القديم. وحل خلافات البعض مع مجموعة من الشركات والعمل على إعادة فتح الباب لهم للعمل فيها. وانتزعنا احترام الجهات الرسمية للعاملين في هذه المهنة من خلال تبني نقابة الفنانين للمشروع ودعمه. وتم استصدار قرار نقابي بمنح مقعد لعضو غير نقابي في مجلس إدارة التجمع لتمثيل الأعضاء غير النقابيين ولقد انتخبت لأشغل ذلك المقعد، وهذه سابقة يعود الفضل فيها للأستاذ زهير رمضان المحترم والصديق إياس أبو غزالة الذي انتخب بعد ذلك رئيساً للتجمّع وكان لإنجازاته وقع كبير في سورية وخارجها. وكنا نحضر لأكثر من مشروع على مستوى المهنة، لكن كانت الاستقالة وبرأيي كان لا بد منها.

• ما السر وراء الاستقالة الجماعية المفاجئة لمجلسكم بعد أقل من عام؟

لقد وصلنا إلى مرحلة بتنا فيها عاجزين عن إرضاء الناس. نحن كمجلس إدارة لم يكن لدينا مكان لنجتمع فيه، بل كنا نجتمع في أماكن عامة أو بيوتنا أو مقرات عملنا. ولم يكن لدينا أي إيراد مالي لتغطية الأعمال التي كنا نقوم بها من ورقيات ومواصلات وتبليغات وتلفونات ولقاءات واجتماعات وغيرها. والحقيقة أننا تُركنا وحدنا لنقوم بكل شيء، فلا ناصر ولا متعاون إلا ما قلّ ودر وفقط بالكلام لا بالأفعال. فهناك شريحة من أعضاء التجمع تريدنا أن نكون قديسين لا نخطئ ولا نغضب، دبلوماسيين، نمتهن ثقافة درء المشاكل، إما نعمل أو لا نعمل كثيراً في مهنتنا لأننا أصبحنا مجلس إدارة مع أننا ممثلون.

وهناك شريحة تريدنا أن نكون قساة لا مهادنين وأن نقيم الدنيا ولا نقعدها في حال ورود أي مشكلة أو سوء فهم، حتى وصل أحدهم حد مطالبتنا بأن نتحدث مع شركة لإرغامها على وضع مناديل إضافية في حماماتها. وغيره طالبنا بأن نحاسب شركة لأنها استبدلته من راكوره. إلى كثير من الطلبات التي لا تصدق.

وهناك شريحة تمدحك هنا وتذمك هناك، هنا يثنون على فعلك وهناك يتنكرون له. إذا حققت لهم مطلباً مشروعاً هم للمشروع داعمون وإن اختلفت معهم بوجهة نظرهم هم لك وللمشروع ذامون هدامون.

وهناك شريحة موجودة فقط أسماؤهم في قوائم هذه المهنة وليس لهم قول ولا فعل إنما على الحياد والنأي بالنفس واقفون و«تخرب تعمر ما بيهمني إلا حالي».

وهناك شريحة –أنتمي إليها– ما زالت مصّرة على أن تسمي الأشياء بمسمياتها، دبلوماسية في المواقف التي تتطلب حكمة وروية، وحاسمة في المواقف التي تتطلب حسماً، تفكر بإطار وصالح الجماعة لا الأفراد.

والحقيقة أننا لم نعد نستطيع العمل ضمن تلك الأمزجة والأهواء التي بلغ بعضها الكثير حد النكران والتجريح وأحياناً الإهانة، ففضلنا الاستقالة وأن تُجرى انتخابات جديدة بزملاء جدد يضيفون على المنجز ويطورونه. إلا أنه ومع الأسف واجهت الإرهاصات نفسها عضواً من أعضاء المجلس الجديد فاستقال. وتلك المشاكل نفسها تقريباً واجهت رئيس التجمع الجديد فأدت به إلى الاستقالة.

• ما ردك على ما يقال عنك بأنك «نجم الدوبلاج الأول عربياً»؟

بداية النجم هو شخص مشهور بالنجاح في مجال معين. والقيم الأخلاقية والفنية هي أساس للنجومية في أي مجال. إذ لا نجومية بلا تعب وعطاء وتطوير. فالقيم قبل العمل، والمبادئ قبل المصالح. النجومية هي معادلة متكاملة، وليس أمراً واحداً سيجعل منك نجماً. فمن يعتبرني نجم دوبلاج عربياً فلا مانع لدي ضمن الإطار الذي تحدثت عنه. لكن أفضل أن يقال عني بأنني ممثل يجيد عمله فقط. فمفهوم النجم بالنسبة لي قد يُلصق بصاحبه قناعاً على أفعاله وردود أفعاله، وقد يُفقده بعض من براءته وصدقه وفطرته فلا يكون حقيقياً. وأنا أحب أن أتعامل مع من حولي على طبيعتي بلا أقنعة وبمشاعري الحقيقية.

• ما حلمك في الحياة؟

أن أبقى كما أنا، لا يغيرني شيء إلا إن أردت التغيير بإرادتي. أن أعيش بكرامتي وأصون كرامة عائلتي. أن أكون باراً بأهلي وأتمتع بحياة وصحة جيدة أنا وزوجتي وأولادي. أن أبقى في وطني ولا يأخذه أحد مني. وألا يعبث أحد بحلمي. كل ذلك من خلال مهنتي، عشقي.. الفن.

ألقاب الشوام بين الآنيّة وديمومة المعنى

منير كيال

تعارف الناس بدمشق حتى أوائل النصف الثاني من القرن العشرين على إطلاق ألقاب على الرجال والنساء.

وقد ارتبطت هذه الألقاب إلى حد كبير بمكنونات من تطلق عليه رجلاً كان أم امرأة. وكان من هذه الألقاب ما تناول صفات من تطلق عليه، امتلاء ونحولاً، طولاً وقصراً، صحة واعتلالاً أو سقماً، فضلاً عن الألقاب التي تناولت مناقب من تطلق عليه ومواقفه لدى التعامل مع الآخر بل سلوكه أيضاً.

وكان من هذه الألقاب ما أطلق على سبيل الانتقاد إزاء ما يصدر عنه.

وإذا كانت أغلبية الألقاب التي تطلق على النساء مماثلة لما يطلق على الرجل مع إمالة طفيفة باللفظ للتأنيث، فإنها بجميع الأحوال تختلف عن الكنية التي يحملها أفراد الأسرة، لكون الكنية دائمة متوارثة على حين يكون اللقب مقتصراً على من يطلق عليه. فهو خاص به دون غيره رجلاً كان أم امرأة.

وإذا كانت الألقاب التي تطلق على الرجل لها صفة الديمومة، فالرجل الذي أطلق عليه لقب: شهم، لا يكون نذلاً بين ليلة وضحاها، وبالمقابل فإن من الألقاب التي أطلقت على المرأة قابلة للتبدل للمرأة الواحدة، ويرتبط ذاك التبدل بحضور المرأة المجلس الذي يطلق فيه عليها اللقب.

ذلك أن اللقب الذي يطلق على المرأة بمجلس تحضره يكون على جانب من التملّق والمداهنة من باب التحبب لتلك المرأة، فإذا غابت هذه المرأة عن مجلس فقد يطلق عليها لقباً مغايراً لما أطلق عليها بالمجلس الذي هي حاضرة به، وتبعاً لذلك تكون المرأة التي لقّبت إنها راتبة بمجلس تحضره غير ذلك حال غيابها، كأن تلقب بأنها شرشوحة، كما قد يطلق على المرأة المحبة للتواصل لقب لألوءة، أو مسفّقة.

وفي جميع الأحوال فقد تناولت ألقاب الرجل والمرأة جوانب لا تحصى، وكان من أهمها ما يتعلق بهيئة جسم من يطلق عليه اللقب رجلاً كان أم امرأة.

كقولهم بالرجل: طويل، قصير، مدربس، زمك، وقولهم أخو أختو بمعنى عالي الهمة، ولقب رجل كرسي للرجل الذي وجوده وعدم وجوده سيان وكذلك لقب ابن مبارح لقليل الخبرة، ومن هذه الألقاب لقب وشه (وجهه) حام لمحب المساعدة.

وقولهم للمرأة لقب إنها: مربوعة مكملة القوام، وللمرأة الطويلة المشوطة لقب عصاية طقي.

وكان من هذه الألقاب ما ارتبط بسلوك من تطلق عليه وتعامله مع الآخر سلباً أو إيجاباً، وما كان عليه من طباع إيجابية أو سلبية كقولهم بالرجل لقب: أشبه بعالي الهمة، وحربوق، لحسن التصرف، وتنتوف للمعدم. ولقب فطايسي للمترخص، وللكريم لقب جيبته مبخوشة وقولهم بالمرأة لقب: أرنبة للانطوائية، برمة: للنشيطة، ولقب مكنسة الطريق لكثيرة الخروج من المنزل دونما ضرورة لذلك.

يضاف إلى ذلك الألقاب التي كان الغرض من إطلاقها توجيه النصح والإرشاد، وتلافي زلات اللسان، كقولهم للرجل المبذر: جيبته مبخوشة، وللحريص أندوه (أندوق) والمعدم تنتوف، وللمرح زهراوي.

وبالمقابل قولهم بالمرأة التي لا تحرص على محتويات بيتها بأنها مبذّرة، ولكثيرة الكلام بلا طائل بأن لسانها لا يفوت (يدخل) إلى حلقها، وقولهم لقب نسناسة للمرأة التي تدبر الأمور بمعزل عن غيرها، أو تقوم بزرع الخلاف بين امرأتين على نحو من الخبث والمكر للإيقاع بينهما.

وفي ضوء ما قدمناه بهذا البحث، لابد لنا من الإشارة إلى أن إطلاق الأسماء على الرجل والمرأة بالأسرة التقليدية كان من مسوغات طباع المرأة والرجل فيما مضى، يوم كان لدى الناس متسع من الوقت للتعبير عما يجول بخواطرهم وتعاملهم لبناء مجتمع فيه الخير للوطن وإذا اقتضت طبيعة الحياة في عصرنا عدم الحرص أو الاهتمام بإلقاء هذه الألقاب على الرجل والمرأة فإن القيام بعملية مسح أو دراسة لهذه الألقاب على مستوى القطر العربي السوري سيوفر للدارسين والباحثين مادة مهمة، على طريق معرفة ظروف تطور المجتمع من جميع النواحي، وصولاً إلى الأطر التي يقوم عليها بناء المجتمع.